٣ ـ التابعية الاقطاعية :

قام البناء الاجتماعي في العصر الاقطاعي على التابعية ، ورسا هذا ـ في جميع مستويات أصوله ـ على رباط شخصي للخدمات المتبادلة والحماية بين السيد وتابعه ، وتأكد بقسم وبطقوس اعطاء الولاء ، ووضع التابع يديه بين يدي السيد ، كما لو أنهما يصليان معا ، وتعهد مقسما أن يكون رجله طوال حياتهما ، وكان بعد ذلك يقبل الاثنان بعضهما بعضا على الفم ، ومن الواضح أن كلا الدورين من الطقوس يرمزان الى المقايضة في العلاقات فهذا ما عبر عنه التشابك بالايدي والخضوع والقبلة المتبادلة ، وبتعهد التابع في أن يكون مخلصا لسيده وأن يخدمه في مختلف الطرق والوسائل بما في ذلك (ماهو رئيس بالنسبة لموضوعنا هنا) واجب الالحاق به الى الحرب مع أكبر عدد ممكن من الرجال المسلحين جرى اختيارهم من بين أتباعه ، وفق ماتوجب عليه تبعا لثروته ومرتبته ، وكان واجب السيد حماية تابعه في أثناء الحياة والانتقام له في حالة الموت ، وتحقيق العدل واقامته بينه وبين أتباعه ، والاحتفاظ به ومكافأته على خدماته ، وكان الاحتفاظ على نوعين : وكان التابع يؤخذ في النوع الأول الى مقر سكني السيد ، حيث كان يسكن ، ويأكل ويلبس ويجهز بما يلزم على حساب السيد ، وشكل هذا النوع من الأتباع حاشية السيد وأهل بيته أو عزبته ، واحتفظوا بعلاقة شخصية خاصة معه ، وعرف النوع الآخر باسم « السكنية » حيث أعطي التابع مسكنا ، أي قطعة من الأرض ، كان من المتوقع أن ينفق على نفسه من دخلها ، ودعي تعداد الخدمات ، لاسيما تعدادها على شكل منح من الأرض باسم « إقطاع » وهي كلمة أعطت اسمها للنظام الاقطاعي ، وأصبحت مع مرور الوقت هذه الاقطاعات وراثية ، انما احتفظ بها في بداية الفترة الاقطاعية على شكل ايلاء ، وتمثل منح الاقطاع بمناولة أعطية ماأمام شهود ، وقد تكون هذه الأعطية صكا مكتوبا ، وغالبا ماتكون بعض الأعشاب مع جذورها أو حزمة

حصاد ، أو (في حالة التعيين في مـركز عسـكري هـام) عصـا صولجانا و علم ونرى في مخطوطة المانية لملحمة رولاند صورة تمثـل شارلمان وهو يناول رولاند علما وذلك كأمـارة على اقـطاعه تخـوم اسبانيا ، ونلاحظ في نشـيد رولاند أن الأمـارة التـي غالبـا مـا استخدمت لمنح اقـطاع أو تسـليمه كانت قفازا . (الابيات ٢٨٢٧ ـ ٢٨٣٩) .

٤ ـ العلامات والأمارات :

ولا شـك أن مناولة الأمـارة المرئية كعـلاقة على تعيين أو اتفاق ، مشهد قديم جـدا ، ويبـدو أنه كان لهـا مقصـدان اساسيان ، أولهما اظهارها كنية على السلطة المعهودة الى انسان ما :« جئت مـن عند الملك ، هـذا هـو خـاتمة (عصاه ـ علمه ـ قفـازه ـ أو أي شيء آخـر) كبـرهان على ذلك ، وكان هـذا له عظيم الفـائدة وعملي في مجتمـع عرفـت قلة القراءة ، انما استخدمت أيضا بمثابة وسيلة للتأثير في تلك المناسبة على ذاكرة ذوي العلاقة والحضور سواء ، وبالروح نفسها ، وبغية اثارة الشهود الشباب للاهتمام بأمر ما ، قدم لهم صـناديق لطيفـة لتوضع على الاذن ، لتدليل على أن مـا سمعوه لن ينسـوه بسرعة ولعل تقديم القفاز قصد به أن يكون أمـارة للتـذكير مـن هـذا القبيل ، وجاء استخدام أمارة القفاز في نشـيد رولاند كعـلاقة على منح اقطاع كما رأينا من قبل ، وقدم القفاز والصولجان أثناء تعيين سفير ما أو رسول ، وقدم شارلمان القوس الى رولاند عندمـا عينه آمرا لقوات المؤخرة .

٥ ـ الفروسية :

نجد من خلال شعر الملحمة أن كلمتي « فـارس وفـروسية » لم تستخدم لتشير بالضرورة الى رجال رسموا بالسيف ليكونوا بشكل